

التفسير المختصر - سورة يوسف (١٢) - الدرس (١٢-٢٤) : تفسير الآية ٦٧  
لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٤-١١-١٩

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا وأنفعنا بما علمتنا وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أيها الأخوة الكرام، قال تعالى:

﴿وَقَالَ يَا بَنِيَّ لِمَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ (٦٧)﴾

[سورة يوسف]

هذه الآية فيها إشارات كثيرة.

الإشارة الأولى: أن الإنسان إذا ظهر أمام الناس بمظهر الغنى أو عرض ما عنده، أو تحدّث عن أمواله، وعن مصروفه، وعن بيته وعن رحلاته، ودخله، وحجم إنفاقه.. إذا ظهر الإنسان بمظهر الغنى والتّرف، ما الذي يحصل؟ قد يأتي إنسان فقير قد تلبّس به الشيطان فإذا نظر الفقير إلى هذا الغني نظرة حسد، وكان هذا الغني غافلاً عن الله تعالى سرى هذا الشيطان من هذا الفقير الحاسد إلى هذا الغني الغافل، وهذا ما يعبر عنه العوام بالعين، وربنا عز وجل يقول:

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ (١)مَلِكِ النَّاسِ (٢)إِلَهِ النَّاسِ (٣)مَنْ شَرَّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ (٤)الَّذِي يُوسَّسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ (٥)مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ (٦)﴾

[سورة الناس]

وقال تعالى:

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ (١)مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ (٢)وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ (٣)وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ (٤)وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ (٥)﴾

[سورة الفلق]

لذلك قالوا كثرة الظهور نقصم الظهور قال تعالى:

﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ (٧٩)﴾

[سورة القصص]

فَهُنَاكَ أَشْخَاصٌ هَمَّهُمُ الْحَدِيثُ عَنْ أَوْلَادِهِمْ وَذَكَاءُ أَوْلَادِهِمْ، وَعَنْ نَجَابَةِ أَوْلَادِهِمْ، أَوْ عَنْ بَيْتِهِمْ أَوْ  
عَنْ مَوْقِعِ بَيْتِهِمْ، أَوْ الْأَثَاثِ الْفَاخِرِ الَّذِي زَيَّنَ بِهِ الْبَيْتَ ! فَإِذَا كَانَ هَذَا الْهُوَ الْهَدَفُ دُونَ أَنْ يَشْعُرَ،  
فَفِي سَاعَةِ الْغَفْلَةِ قَدْ يَحْسُدُهُ حَاسِدٌ مُتَلَبِّسٌ بِهِ الشَّيْطَانُ، وَيَسْرِي حِينَهَا الشَّيْطَانُ فِيهِ.  
يَقُولُ لَكَ: بِهِ عَيْنٌ، وَمَرِيضٌ مَرِيضًا كَبِيرًا وَمَاتَ بِهِ، وَالنَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يَقُولُ:

**((العين تضع الجمل في القدر...))**

فَأَنْتَ لَا تَتَضَمَّنُ أَنَّ هَذِهِ الَّذِي أَمَامَكَ مَوْصُولٌ بِاللَّهِ تَعَالَى فَلَوْ أَنَّكَ كَانَتْ مَوْصُولًا لَمَا حَسَدَكَ، لِأَنَّ  
رَبَّنَا عَزَّ وَجَلَّ وَصَفَ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّهُمْ يَتَنَافَسُونَ فِي طَاعَةِ اللَّهِ تَعَالَى، قَالَ تَعَالَى:

**﴿حَتَامَهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾ (٢٦)**

(سورة المطففين)

الْمُؤْمِنِ الدُّنْيَا خَارِجَ اهْتِمَامِهِ، وَلِذَا عَلَّمَنَا النَّبِيُّ أَنَّهُ مِنْ رَأْيِ بَيْتًا فَخَمًّا أَوْ مَرْكَبَةً كَانَ يَقُولُ:

**((اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة..))**

فَمَتَاعُ الدُّنْيَا مِنْ بَيْوتٍ وَمَرْكَبَاتٍ مُتَوَقِّفَةً عَلَى نَبْضِ الْقَلْبِ أَنْتَهَى كُلُّ شَيْءٍ، فَلَا يُوْجَدُ قَبْرٌ خَمْسُ  
نُجُومٍ !! فَكُلُّ مَخْلُوقٍ يَمُوتُ وَلَا يَبْقَى إِلَّا ذُو الْعِزَّةِ وَالْجَبْرُوتِ ؛

الليل مهما طال فلا بدّ من طلوع الفجر  
والعمر مهما طال فلا بدّ من نزول القبر  
وكل ابن أنثى وإن طالت سلامته  
يوماً على آله حدباء محمول  
فإذا حملت إلى القبور جنازة  
فاعلم بأنك بعدها محمول

\*\*\*

أَيُّهَا الْأَخُوَّةُ، مَا ذَكَرَ الْمَوْتَ فِي كَثِيرٍ إِلَّا قَلِيلًا، وَيُذَكَّرُ فِي قَلِيلٍ إِلَّا كَثْرَهُ فَإِذَا الْإِنْسَانُ مَحْرُومٌ وَقَفِيرٌ  
وَزَوَاجُهُ غَيْرُ نَاجِحٍ، وَبَيْتُهُ صَغِيرٌ، وَدَخَلَهُ أَقَلٌّ مِنْ مَصْرُوفِهِ، وَكَانَ مُؤْمِنًا وَمُسْتَقِيمًا عَلَى أَمْرِ اللَّهِ  
فَإِنَّهُ إِنْ ذَكَرَ الْمَوْتَ ذَكَرَ الْجَنَّةَ، قَالَ تَعَالَى:

**﴿أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعَدًّا حَسَنًا فَهُوَ لَاقِيهِ كَمَنْ مَتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ**

**الْمُحْضَرِينَ﴾ (٦١)**

[سورة القصص]

فَالَّذِي مَعَهُ أَمْوَالٌ لَا تَأْكُلُهَا النَّيِّرَانُ إِذَا مَاتَ لَمْ يَبْقَ مَعَهُ إِلَّا هَذَا الْقَبْرُ الصَّغِيرُ وَسَيُشَيِّعُ إِلَى مَثْوَاهُ  
الْأَخِيرِ، أَمَّا الْمَثْوَى مُوقَّتٌ فَهُوَ مُوقَّتٌ وَلَنْ تَبْقَ فِيهِ إِلَى أَبَدِ الْأَبْدِينَ، فَإِذَا الْإِنْسَانُ إِذَا فَكَّرَ بِبَيْتِهِ فَلَا  
بَدَّ مِنْ يَوْمٍ يَخْرُجُ مِنْهُ دُونَ أَنْ يَرْجِعَ، فَالْإِنْسَانُ لَا بَدَّ مِنْ أَنْ يَخْرُجَ مِنْ بَيْتِهِ مَرَّةً بِشَكْلِ أُفْقِي  
وَالْإِنْسَانُ يَرَى مِائَاتِ الْمَسَاجِدِ وَأَلْفِ الْمَسَاجِدِ ؛ يُصَلِّي أَوْ لَا يُصَلِّي لَكِنَّهُ بِأَنَّهُ يَنْتَمِي إِلَى أُمَّةٍ

الإسلام يجب أن يدخل المسجد ليُصلى عليه ! كنتُ مرّةً في مدينة المغرب ؛ مدينة فاس الإسلامية، رأيتُ سمانًا كاتِبًا على محله: صلِّ قبل أن يُصلى عليك!  
أيها الأخوة، أردتُ من هذه الآية:

﴿وَقَالَ يَا بَنِيَّ لِمَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ (٦٧)﴾

[سورة يوسف]

لا تُعوّد نفسك الكلام عن أهلك وبيئتك وزوجتك وعن ترتيبها ونظافتها وأناقته، وعن دخلك ؛ هذا مرض النساء ؛ فهذا المديح لا يجلب الخير، فلعلّ إنسانًا فقيرًا نظرَ إليك نظرة حسدٍ فسرى إليك الشيطان، متى يُؤثر الحسد ؟ إذا كان المحسود غافلًا عن الله تعالى وكان الحاسد مُتلبس بالشيطان، وهذه نصيحة كريمة، قال تعالى:

﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِي (١٥٢)﴾

[سورة البقرة]

أذكر الله في كل مكان ولن يحسبك أحد، بل يغارون منك، وهي محمودة، قال عليه الصلاة والسلام: لا حسد إلا في... " فأنت خلال سماعك للخطباء والدروس بلّغ ما سمعت، لأنّ الحديث إذا كان عن الدنيا فإنك تجلب به الأعداء دون أن تشعُر ؛ إنّ العين لتضع الجمل في القدر، والرجل في القبر مأخوذ من قوله تعالى:

﴿وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ (٥)﴾

[سورة الفلق]

فالإنسان إذا خرج من مصالحه، ومن بيئته إلى خدمة الخلق وتذكيرهم بالله وتعريفهم به، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر انتهى من الحسد، لأنّ الناس تعلقوا به عن طريق الله تعالى، قال تعالى:

﴿وَقَالَ يَا بَنِيَّ لِمَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ (٦٧)﴾

[سورة يوسف]

يروون قصصًا غريبة أن أحدهم توفى فجاءه الملكان ليسألانه فجاءتهما - الملكان - ضربتان أخرجهما من القبر، وكانت من شيخ المتوفى، وقال لهما: أهذا يُسألُ !!!؟ هذه قصص ما أنزل بها من سلطان، يت فاطمة بنت محمد أنقذني نفسك من النار ! قال تعالى:

﴿قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ (٤٦)﴾

[سورة هود]

وقال تعالى:

﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ (١) مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ (٢) سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ (٣) وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ (٤) فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ (٥)﴾

[سورة المسد]

فَالخَلَطُ وَالذَّجَلُ لَيْسَ مِنَ الدِّينِ فَلَا يَنْقِذُكَ إِلَّا التَّوْحِيدُ وَالِاسْتِقَامَةُ عَلَى الطَّرِيقِ الْمُسْتَقِيمِ لَا يَأْتِينِي النَّاسَ بِأَعْمَالِهِمْ وَتَأْتُونِي بِأَنْسَابِكُمْ، مَنْ يَبْطِئُ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ.  
قال تعالى:

﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ (٦٧)﴾

[سورة يوسف]

وقال تعالى:

﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ (١٢٨)﴾

[سورة آل عمران]

وقال تعالى:

﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بِنَاءٍ حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (١٧)﴾

[سورة الأنفال]

وقال تعالى:

﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ اللَّهُ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا (١٠)﴾

[سورة الفتح]

وقال تعالى:

﴿وَالِيهِ يَرْجِعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (١٢٣)﴾

[سورة هود]

وقال تعالى:

﴿مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ (٤)﴾

[سورة السجدة]

قال تعالى:

﴿وَلَكِنَّ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ (٧١)﴾

[سورة الزمر]

فَالفِكْرَةُ الشَّائِعَةُ بَيْنَ الْعَوَامِ أَنَّ أُمَّةَ مُحَمَّدٍ مَرْحُومَةٌ ! الْأُمَّةُ الْمَرْحُومَةُ هِيَ أُمَّةُ الْاسْتِجَابَةِ لَا أُمَّةُ التَّبْلِيغِ، فَكُلٌّ مِنْ وُلْدِ بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ، وَكَانَ يَنْتَمِي إِلَى أَبِي وَأُمِّ مُسْلِمَانٍ ؛ هُوَ مِنْ أُمَّةِ التَّبْلِيغِ، أَمَّا أُمَّةُ الْاسْتِجَابَةِ هُمُ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلرَّسُولِ لَمَّا يُحْيِيهِمْ ؛ صَامَ وَصَلَّى وَغَضَّ بَصَرَهُ وَحَرَّرَ دَخْلَهُ؛ هَذَا مِنْ أُمَّةِ الْاسْتِجَابَةِ، أَمَّا الَّذِي يَظُنُّ أَنَّ مَنْ ارْتَكَبَ الْفَوَاحِشَ وَالْمَعَاصِيَ وَأَكَلَ الْحَرَامَ، وَالنَّبِيَّ سَيِّئُفَعُ لَهُ فَهُوَ مَفْهُومٌ سَادِجٌ، إِلَّا أَنَّ الشَّفَاعَةَ لَا تَكُونُ إِلَّا لِمَنْ أَدَانَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا،  
قال تعالى:

﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَىٰ وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾ (٢٨)

[سورة الأنبياء]

فالشفاعة تحتاج إلى إذن من الله تعالى، ومن مات غير مُشركٍ أصابته شفاعَةُ النبي عليه الصلاة والسلام.

فالمطالب لو نجح بكل العلامات، وفي مادّةٍ واحدةٍ بقي له خمس علامات كي ينجح، هنا يُمكن أن يُساعد، ولكن ليس أن يرسُب بكل المواد ثم يُساعد !

نَبَقَى فِي هَذِهِ الْآيَةِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى، وَنَنْتَقِلُ فِي دَرْسٍ قَادِمٍ إِلَى الَّتِي بَعْدَهَا، قَالَ تَعَالَى:

﴿وَقَالَ يَا بَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ (٦٧)

[سورة يوسف]

والحمد لله رب العالمين